دواعي التداخل اللغوي وانعكاساته على تعلم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية

The reasons for linguistic interférence and its implications for learning Arabic in the Algerian school

الباحثة: ليلى قلاتي

إشراف: د. محمد بوعمامة

جامعة الحاج لخضر -باتنة -1-(الجزائر)

leilagltl@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2018/09/29 تاريخ القبول:2018/10/12 تاريخ النشر: 2018/12/01

ملخص:

تعتبر ظاهرة التداخل اللغوي ظاهرة لسانية بامتياز فرضت وتفرض نفسها على الواقع اللغوي الاجتماعي إذ تعد من بين أهم مميزات اللغة التواصلية مما أهلها بأن تتواجد وبشكل جلي في كل المؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية . والمدرسة واحدة من هذه المؤسسات التي لم تشذ عن القاعدة، إذ أضحت ظاهرة التداخل اللغوي منتشرة في الوسط المدرسي مما جعلها من بين أهم القضايا التي أولاها الأخصائيون اهتمامهم سواء من حيث دراسة ماهيته وأسباب انتشاره أو على ما مدى تأثيره على الواقع التعليمي عموما وعن اللغة العربية الفصيحة خصوصا، مما يساهم دون شك في تشكيل شخصية المتعلم اللغوية. وهذا ما جعلني أحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على هذا الموضوع الذي أراه من الأهمية بما كان أن يعالج من أجل محاولة إيجاد حلول لظاهرة تدني مستوى التحصيل اللغوي عند متعلمي المدرسة الجزائرية والذي دون شك ينعكس سلبا على بقية المواد الدراسية باعتبار اللغة العربية كفاءة عرضية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية ; التداخل اللغوي ; الازدواجية اللغوية ;الثنائية اللغوية ;التعدد اللغوي.

Abstract:

The phenomenon of linguistic interference is a linguistic phenomenon characterized by excellence and impose itself on the social linguistic reality, which is one of the most important features of the language of communication, which enabled them to be present in a clear manner in all social institutions official and non-official. The school is one of these institutions that did not deviate from the rule. The phenomenon of linguistic interference became prevalent in the school environment, which made it one of the most important issues that the specialists raised their interest in terms of studying the nature and causes of its spread or how it affects the educational reality in general and the fluent Arabic language Especially, which undoubtedly contributes to the formation of the personality of the learner language. This is why I try to highlight in this paper the importance of what I would like to address in order to try to find solutions to the phenomenon of low level of linguistic achievement among Algerian school learners, which undoubtedly reflects negatively on the rest of the subjects, considering Arabic as an incidental efficiency.

Key-words: Arabic ; Linguistic overlap, bilingualism, bilingualism; Multilingualism.

البحث:

1-مقدمة:

إن انطلاقتنا في هذا البحث تأسست على دراسة الواقع اللغوي وتوصيفه لكشف انعكاساته على ديداكتيك اللغة العربية في ظل التعدد اللغوي المشهود له في المؤسسات التعليمية ،حيث أضحى الصدام اللغوي جليا بين لغات وطنية وأجنبية ومحلية، أثرت على استعمال اللغة الرسمية، وأزاحتها عن مكانتها

الأصلية ،إذ أن تشابك وتشارك مجموعة من الظواهر المترجمة للواقع اللغوي من ازدواجية وثنائية أفضى لخلق ظاهرة أكثر سلبية تؤسس لوضع لغوي تعليمي يؤسف له، يطمس أهم مقومات الهوية الوطنية والثقافية للمتعلم، ويؤثر على تكوين شخصيته اللغوية، من هذا المنطلق ارتأينا الكشف عن دواعي التداخل اللغوي وأثاره على تعليمية اللغة العربية في المدرسة الجزائرية.

2- التداخل اللغوي Interférences : لقد حظي التداخل اللغوي باهتمام المختصين من علماء النفس التربويين وعلماء الاجتماع اللغوي، وقدمت دراسات عديدة حوله بغرض معالجة الظاهرة، وذلك لما أحدثته في الأوساط التربوية من اضطراب في لغة التواصل الرسمية، وضعف في تنمية ملكة اللغة العربية ، وتأثيره في النمو اللساني للمتعلم بشكل صحيح.

ويشير مصطلح "التداخل اللغوي" في أدبيات البحث اللساني إلى تفاعل بين نظامين لغويين أو أكثر نتيجة التأثير والتأثر الحاصل بين هذه الأنظمة، والتي يختلف الفرد في توظيفها بحسب السياقات والمواضعات التي يفرضها واقع تواصلي معين مما يحتم تداخل عدة ألسنة لغوية، حيث يداخل الفرد في لغته التواصلية خصائص صوتية وصرفية ومعجمية خاصة بلغات أخرى، بصفة لا شعورية، إذ يعد التداخل اللغوي: "انتقال عناصر من لغة (أو لهجة) إلى أخرى في مستوى أو أكثر من مستويات اللغة :الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والمفرداتيّة والدلاليّة والكتابيّة ،سواء أكان الانتقال من اللغة الأمّ إلى اللغة الثانية أو بالعكس ،وسواء كان هذا الانتقال شعوريا أولا شعوريا ،فإذا تأثّرت اللغة العربية الفصيحة التي يتكلّمها الطفل العربي بلهجته العاميّة أو باللغة الأجنبية التي يتعلمها ،فإننّا نعد ذلك من باب التداخل اللغوي كذلك"[1]، كما يصفه جورج مونان في معجم اللسانيات أنه يتشكل من :" التغيرات الناتجة في لغة ما التي تحدث بفعل التماس مع لغة أخرى أو أكثر مما يشكل لغة تواصلية هجينة تمثل ظاهرة التداخل اللساني[2]

يعزي جورج مونان أسباب حدوث الظاهرة إلى التغيرات التي تحدث نتيجة احتكاك اللغة الأم بلغة أخرى ينتج عنها اقتراض لألفاظ بطريقة لا واعية نتيجة تعايش عدة أنظمة لغوية في لسان واحد بفعل الثنائية أو التعددية اللغوية المؤسسة لظاهرة التداخل اللغوي.

وصفوة القول أن التداخل اللغوي ظاهرية لسانية تواصلية ناتجة عن امتزاج مجموعة من الأنظمة اللغوية المشكلة من مظهري التعدد اللغوي "الازدواجية والثنائية اللغوية"، وبعبارة أوضح هو نتيجة من نتائج التعدد اللغوي ، فماذا نعني بالتعدد اللغوي ؟وكيف تسهم ظاهرتا الازدواجية والثنائية في حدوثه ؟

3-التعدد اللغوي: Plurilinguisme: يعد التعدد اللغوي ظاهرة لسانية طبيعية قديمة أفرزتها ضروريات الحياة التي تستوجب التواصل الثقافي والتبادل المعرفي بين الحضارات فأصبحت بذلك ضرورة ثقافية اجتماعية تسير وفق ديناميكية اللغة ،بفعل الامتزاج الحاصل بين اللغات قصد تبادل الثقافات تماشيا مع التطور العلمي الحاصل، وهي لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات.

يشير مصطلح التعدد اللغوي إلى استخدام الفرد لعدة أنظمة لغوية ،أو اجتماع أكثر من لغة في مجتمع واحد حيث يعرفه :"محمد الأوراغي" بقوله :" التعدد اللغوي المقابل العربي للفظ الأجنبي Multililingusmie وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد ،إما على سبيل التساوي ،إذا كانت جميعها لغات عالمة كالألمانية والفرنسية والايطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لغات عامية"[3]

والمجتمع الجزائري واحد من هذه المجتمعات التي يتسم وضعها اللغوي بالتعدد وإن لم يقر ذلك بصفة رسمية حيث يتعايش أغلب أفراده بأنماط تواصلية متعددة عربية أمازيغية وفرنسية وإنجليزية ويخضع توزيعها لإيديولوجيات ثقافية ناتجة عن إرث لغوي معين :"فاللغات ليس لها نفس الوظائف ولا نفس الدور الاجتماعي ،ولا نفس الانتشار "[4] وما يؤكد ذلك حال الوضع اللغوي في المجتمع العربي بصفة خاصة والمجتمع الجزائري بصفة أخص مما أثر ذلك على الوضع اللغوي داخل الأطر الرسمية والمدرسة واحدة من هذه الأطر التي لم تكن في منأى عن ذلك وما يترتب عليه.

إن من إفرازات التعدد اللغوي على متعلم المدرسة الجزائرية استعماله لعدة أنظمة لغوية، داخل الصف باعتباره الإطار الأمثل لتعلم لغة صحيحة متكاملة الأبعاد مما يعيقه على تعلم لغة عربية سليمة المبنى والمعنى، وهذا ما يجعل التعليم في الوقت الراهن القائم على الثنائية والتعددية أمام وضع يتخرّج فيه المتعلم من المؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها، وهو لا يتقن أي لغة إتقانا جيدا، بما في ذلك لغته الوطنية، وهذا ما يفرز بالضرورة مجتمعا غير آمن لغويا والذي هو أحد أهم المعوقات التي تسعى المدرسة بصفة عامة والمدرسة الجزائرية بصفة خاصة إلى محاربتها باعتباره أحد أهم أسباب ضعف الشخصية الوطنية . وهو ما يطلق عليه في حقل البحث اللساني بـ "انعدام الأمن اللغوي".

4-الازدواجية اللغوية (diglossie) والثنائية اللغوية(bilinguisme) ظهر مصطلح الازدواجية على يد "شارل فرجسون"(charles fergusin) في بحثه الذي نشره في مجلة اللغة الأمريكية محاولا في ذلك التأسيس له إذ يعد أول من درس هذه الظاهرة في العديد من اللغات ومنها اللغة العربية، في مقابل مصطلح الثنائية اللغوية الذي استعمل مرادفا لمعنى الازدواجية مما أدى إلى تباين في تفسير المصطلحين وترجمتهما في الحقل اللساني إذ يتخذ كل منهما معنا يكاد يكون نفسه مما يؤول إلى دلالتين متطابقتين ولكنهما في الأصل يتخذان معنيين متباينين يؤديان إلى اضطراب في الاستعمال مما يستوجب منا تحدد معنى ودلالة كل منهما فـ: " الازدواجية مادتها "الزوج" قد استقرت هذه المادة في العربية بدلالة جلية على الاقتران والمشاركة، شأن العربية ولهجاتها، أو الفصحى والعامية، وهذه المادة في الطبيعة تشي بتوحد العرق والسلالة...أما الثنائية فإن أسّ دلالتها مطلق العدد حتى تطلق على متقابلات الأضداد كالخير والشر والنور والظلام والفقر والغنى، وذلك أشبه بالتقابل البعيد بين اللغات المتباينة ،وهكذا تكون الازدواجية مقابلا عربيا ل **diglossie** ،على حين تكون الثنائية هي المقابل العربي ل**bilinguisme** "[5]، ومن هنا فالازدواجية تعني استخدام مستويات لغوية

مختلفة ذات الانتماء الجذري الواحد في المجتمع الواحد ،وتمثل هذه الاستعمالات مستويات رسمية وغير رسمية وفق ما يقتضيه المقام التواصلي، إذ يُعتمد المستوى المعياري منها في المواقف الرسمية كالمؤسسات الإدارية والتعليمية، في حين نجد المستوى الآخر وهو الأكثر استعمالا في مختلف الأوساط الاجتماعية اليومية باعتباره المستوى العفوي الذي يحقق أغراض وظيفية تواصلية بيسر بسهولة، وقد عُرفت على أنها: "التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة"[6].

أما الثنائية اللغوية فهي مصطلح لساني يؤول معناه إلى استعمال لغتين متباينتين من أصل مغاير، وقد أجمع اللسانيون على أن الثنائية اللغوية تعبر عن وضع لغوي لشخص ما أو جماعة بشرية معينة تتقن لغتين مختلفتين، دون تغليب أفرادها للغة على أخرى[7]، إذ يعد إتقان الفرد للغتين مختلفتين شرطا أساسيا لتحقيق الثنائية وتكون عادة احدهما قومية والأخرى أجنبية، وقد أبرز تعلّم الثنائية اللغوية في الساحة التعليمية عوائق تحصيلية كثيرة منها ما هو صوتي وما هو تركيبي ومنها ما هو دلالي، مما جعلها تعيق عملية التحصيل اللغوي وفق قواعده العلمية الصحيحة ،فإذا سلمنا أن معظم الدارسات الحديثة تقر بأن للمتعلم المقدرة على اكتساب أكثر من لغة واحدة في سن مبكرة، إلا أننا نلاحظ إن المتعلم في مراحله التعليمية الأولى يأتي برصد لغوي أسري في معظمه لا يخضع لقواعد اللغة الرسمية والذي يفترض أن يكون الركيزة الأساسية لتعلم لغة سليمة المبنى والمعنى مما يعيقه على تحصيل لغة المدرسة، ناهيك عن تعلم لغة أجنبية مخالفة لها في نظمها وقواعدها في غياب تخطيط محكم لهما.

5-توصيف الواقع اللغوي الجزائري في ضوء الازدواجية والثنائية اللغوية: تعد الجزائر من بين دول المغرب العربي الذي يتسم وضعها اللغوي بالتعدد، لتوفرها على تنوعات لغوية لهجية مستعملة في الساحة الاجتماعية والتربوية ،وذلك بوجود العربية كلغة تعليم أولى والفرنسية باعتبارها لغة أجنبية أولى ، والأمازيغية بعد ترسيمها كلغة وطنية ثانية، وكلغة تعليمية ثالثة-في بعض المدارس الجزائرية لا كلها- إلى جانب توفر المحيط الاجتماعي على لهجات ودوارج منها العامية كلغة أم لأغلبية الشعب الجزائري تشاركها الأمازيغية بلهجاتها المتعددة المتفرعة بين شليحية، ترقية، مزابية ... الموزعة على مناطق عديدة من التراب الوطني "فالجزائر تنتمي إلى الفضاء المغاربي الذي يتميز كفضاء لغوي تتداخل فيه أشكال من الأداء الذي يسود في البلاد المغربية"[8]، ويصف "لويس كالفي" هذا التعدد بقوله : "تستخدم في بلدان المغرب الحالي ثلاث لغات، العربية والفرنسية واللغة الأم، أما الأوليان فلغة ثقافة، وهما لغتان مكتوبتان وتستخدم الفرنسية أيضا لغة محادثة، غير أنّ اللغة الأم الحقيقية التي يستخدمها الناس دائما في خطابهم اليومي لهجة هي العربية أو البربرية، و ليست هذه اللغة الأم إلا حالات نادرة جدا، لغة مكتوبة".[9]

لقد حظيت اللغة الفرنسية بمكانة هامة في الفترة الاستعمارية وتعاظمت مكانتها مما جعل الإقبال على تعلمها يزايد من فترة إلى أخرى، ما أهلها لتكون لغة التداول بين فئة معينة من المثقفين، ولغة المراسيم الإدارية والتعاملات الاقتصادية والتجارية وذلك لفشل سياسة التعريب الشامل الذي انتهجتها السلطة

الجزائرية، وخير دليل على ذلك أن جل العلوم التقنية والعلمية في الجامعات الجزائرية لا تزال تعتمد الفرنسية لغة تدريس.

وهذا ما شكل ثنائية لغوية (عربية ، فرنسية) غير متكافئة، ميزت المشهد اللغوي الجزائري إذ من الملاحظ أن اللغة الفرنسية لغة تنافس اللغة العربية في عقر دارها مما يجعلها تهدد معالمها ومقوماتها اللغوية والثقافية، حيث استحوذت على ألسنة الجزائريين وعقول المثقفين ، وتفكير الأسر في مستقبل أبنائها، باعتبارها الملجأ الوحيد لتحقيق فرص العمل، لذا يستلزم من الجهات الوصية من مؤسسات اجتماعية وتربوية، التدخل لتغيير هذا المسار والمعتقد ، ومن هنا وجب علينا السعي الحثيث والتحسيس بمخاطرها لإعادة العربية لمكانتها الأصلية، وذلك باستغلالها كمطية للتخلي عن اللغة العربية، بل ينبغي التعامل معها بوعي، من أجل جعلها خادمة للغة العربية، كمطية حاملة لثقافات حضارات الأمم المتقدمة، كلغة علم ومعرفة، لا التأثر والولوع بها لدرجة الاعتناق بألفاظها والتهافت لاستعمالها، والانبهار بعظمتها. وكلامنا هذا لا يعني أن نهون من شأن هذه اللغات، أو ندعو لمقاطعتها، أو ازدرائها إخلاصا للغة العربية لأنها لغة ديننا الحنيف بل علينا أننظر إلى اللغات الأجنبية بوصفها أداة أساسية، نسعى من تعليمها إلى تحقيق ما هو أنفع للفرد خاصة ، وأن نخطّط لتعليمها من باب أنّ لذلك أثرا في خدمة لغتنا، إذ كلما تعلمّ أبناؤنا لغة أجنبية كلما فسح المجال للترجمة، ونقل المعارف إلى العربية وإثرائها[10] وذلك لا يتأتي إلا بتنزيل كل لغة منزلتها ومقامها المناسب المخصص لها.

إن ما يحمله المشهد اللغوي في الجزائر من خصائص ومميزات تنعكس سلبا على العملية التعليمية بصفة عامة وعن تعلم اللغة العربية بصفة خاصة يتجلى في ما يلي:

1-التعدد اللغوي وما يحمله من تباين وتنوع في توزيع الأنظمة اللغوية من منطقة إلى أخرى في النسيج الاجتماعي الواحد، إذ نلمس حضورا غير متوازن للغات واللهجات متمثلة في عربية فصيحة، وعامية، وأمازيغية، ولغات أجنبية .

2-الازدواجية اللغوية : تتوفر البيئة اللغوية الواحدة على مستويين لغويين من أصل واحد، ممثلة في اللغة العربية وعامياتها وهي الأكثر حضورا في المشهد اللغوي الجزائري.

3-الثنائية اللغوية تعد هي الأخرى من بين الظواهر اللغوية المنتشرة في المجتمع الجزائري إذ يتواصل أفراده بلغتين مختلفتين. سواء باللغة العربية وفرنسية أو اللغة العربية وإنجليزية.

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام .

- ما مدى تأثير هذا المشهد اللغوي الجزائري وما يميزه من ظواهر لغوية – تعددية، ازدواجية، ثنائية – على تعليم وتعلم اللغة العربية؟

- وهل يعتبر هذا التنوع اللغوي ثراء يساعد المتعلم على تنمية ملكته اللغوية مما يعينه على عملية التواصل، أم هو عائق في تحصيل لغة عربية سليمة ؟

الأمر الذي يجعلنا نبحث في أسباب ودواعي التداخل في الواقع اللغوي السوسيو لساني والتعليمي.

6-دواعي التداخل في المشهد اللغوي الجزائري عامة وفي العملية التعليمة بشكل خاص: لقد تعددت دواعي التداخل اللغوي وتفرعت بين ما هو اجتماعي ثقافي لغوي وتعليمي في المشهد اللغوي الجزائري وقد ساهمت باجتماعها في نشوء هذه الظاهرة.

6-1-دواعي تاريخية استعمارية :

6-1-1-تهميش اللغة العربية وإقصائها كلغة تعليم في الفترة الاستعماري: انتهجت السياسة التعليمية الفرنسية سبل عديدة لنشر اللغة الفرنسية بين أوساط الجزائريين عبر مختلف المراحل التعليمية "حيث كان التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريا بحتا لا يعترف بالعربية ولا يقيم لوجودها أي حساب فاللغة الفرنسية هي وحدها لغة التدريس في جميع مراحل التعليم".[11] وقد رامت من وراء ذلك فرنسة اللسان الجزائري والقضاء على لغته باعتبارها أحد أهم مقوماته الوطنية.

وآثار هذه اللغة التي فُرضت بالحديد والدم –على حد قول الباحثة خوله طالب الإبراهيمي بارزة جلية- فبرغم من تحقيقنا للحرية العسكرية، فلازلنا مستعمرين فكريا.

6-2-احتكاك اللغات وتعايشها: إن رقي أمة وازدهار حضارتها يومئ برقي لغتها وهيمنتها وقوة حضورها بين اللغات الأخرى ، وذلك لطبيعة الصراع الذي تفرضه الحروب والاحتكاك الذي تعيشه اللغات ، فالغلبة والانتصار في الحروب ، تجعل الشعب المغلوب ينقاد طوعا إلى هذه اللغة، ذلك أن المغلوب مولع بالغة الغالب، يسعى إلى اكتسابها، وبخاصة إن كانت لغة حضارة وثقافة، فتنصاع اللغة الضعيفة وتنجذب إلى اللغة المهيمنة بفعل نقل ألفاظها ومصطلحاتها فهذه "اللغة تؤثر في الشعب المتكلم بها تأثيرا لا حد له يمتد إلى تفكيره وإرادته وعواطفه وتصوراته وإلى الأعماق، وأن جميع تصرفاته تصبح مشروطة بهذا التأثير مكيفة به"[12]، وهذا التأثير والتأثر من الأسباب الرئيسة لتداخل اللغات.

6-3-دواعي اجتماعية : يتجاذب التداخل اللغوي مجموعة من العوامل الاجتماعية التي تساهم بشكل فعال في إنتاج لغة تخاطبية هجينة تكون قوام التواصل اليومي بين أفراد الجماعة اللغوية، إذ بواسطتها يحقق الفرد ذاته وسط هذه الجماعة بواسطة هذه اللغة التواصلية الجديدة، ومن بين هذه العوامل الاجتماعية (الهجرة والزواج المختلط) وهي من بين أهم العوامل الأكثر تأثيرا في تشكيل هذه اللغة، والجزائر واحدة من هذه المجتمعات التي تشهد واقعا لغويا متداخلا، تتفاعل فيه مجموعة من اللغات واللهجات، والتي بدورها تؤدي إلى تداخل في جميع مستويات اللغة.

تعد الهجرة بنوعيها الداخلية والخارجية التي تتحكم فيها مجموعة من العوامل أهمها العوامل الاقتصادية وذلك قصد التبادل التجاري من جهة أو بحثا عن فرص العمل من جهة أخرى التي توفرها الدول

المجاورة سواء الإفريقية منها أو الأوروبية، مما يولد بفعل هذه العوامل لغة تواصلية جديدة قوامها تداخل هذه اللغات مع اللغة التواصلية الأم، والتي تكون هي اللغة المسيطرة على كل مفاصل التواصل اليومي، كما يلعب الزواج المختلط سواء بين مختلف المناطق الوطنية أو خارج الحدود الجغرافية هو الآخر دور بارز في تشكل هذه اللغة التي يغلب عليها طابع الثنائية أو الازدواجية خاصة في لغة الأبناء اليومية وما ينتج عنها من لغة تؤثر سلبا في تكوين لغتهم المدرسية.

4-6-دواعي لغوية تعليمية : ترتبط العوامل المساهمة في حدوث التداخلات اللغوية بأطراف العملية التعليمة وما يحيط بها من عوامل كثيرة أهمها.

4-1- لغة الأسرة: تعد الأسرة المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الطفل تعليمه السليقي حيث يكتسب لغة تلك الأسرة التي يعيش فيها وما تحمله من تجاوزات لغوية والتي تكون رغم هذه التجاوزات هي اللغة التي يعتمد عليها في تواصله اليومي بما في ذلك تواصله المدرسي، مما يجعله يكتسب عادات وسلوكات لغوية متأصلة في معجمه اللغوي تكوّن حاجزا أمام المتعلم في تواصله المدرسي المرغوب فيه بلغة عربية سليمة المبنى والمعنى.

إن ما يوظفه من لغة في البيئة الاجتماعية، وما يتعلمه في البيئة المدرسية والاختلاف الحاصل بين لغة البيئتين هو ما وسع الهوة بينهما وعسر عملية التحصيل اللغوي المراد، حيث إن اللغة المستعملة في المدرسة لا تحمل نفس المواصفات للغة التخاطب اليومي، مما يجعل المتعلم ينحاز إلى اللغة الأولى ويرفض الثانية ، في هذا السياق يقول أحد الباحثين :"إننا نفكر ونتكلم ونغني ونتمتم في صلواتنا ونناغي أطفالنا ونهمس في آذان من نحب ونتفاهم مع من نرغب في التفاهم معهم بلغة محلية سلسة تتميز بفقدان الإعراب، وبغنى الحروف المصوتة، وتتميز بمرونة في التركيب وسهولة في التعبير ولا تتطلب منّا الجهد، ولكن في حياتنا الرسمية في التعلم والقراءة والكتابة علينا أن نتلبس شخصية لغوية ثانية فنتكلم لغة معربة شديدة الإحكام في التركيب والتعبير"[13] مما يتبين أن لغة المدرسة وما يميزها كثرة تقعيداتها وتعقيداتها، تجعل المتعلم ينحاز إلى لغته الأم التي يرى فيها ملاذا آمنا يسهل له عملية التواصل والاندماج .

4-2-المعلم /المتعلم: يتخذ المعلم في المناهج الدراسية السابقة صفة المركز باعتباره صاحب المعرفة ومنشؤها ومبلغها مما أهله بأن يتخذ هذه المكانة، إذ يعمل على تلقين المعرفة كيفما يراها ووفق الخطة التي يرسمها. إلا أن المناهج الجديدة وعلى رأسها المقاربة بالكفاءات تفطنت إلى حقيقة تلقي المعرفة، إذ أن الفرد هو الذي يصنع معرفته بنفسه وفق ما يراه مناسبا لذاته خاضعا إلى مجموع قدراته الفكرية والبيولوجية والنفسية، مما جعل هذه المناهج تُبنى على المتعلم وجعله هو محور العملية التعليمية التعلمية، إلا أن العملية لا تخلو من بعض العوائق ، ومن أهمها اللغة باعتبارها الكفاءة العرضية التي لا تعلم مختلف المواد الدراسية إلا بإتقانها. و الملاحظ أن المتعلم لا يملك ناصيتها بالصيغة التي تؤهله إلى تحقيق الهدف المنشود، إذ يمتلك مؤهلات لغوية تواصلية بلغته المحلية (العامية) ويفتقر لها في العربية الفصحى، رغم ما تسخره المدرسة في تحصيلها لذا" كان ما يتعلمه منها أقل بكثير مما يعرفه من العامية، فتحدث هوة بين الفصحى التي تعلمها

والعامية التي نشأ عليها ويكون لهذه الأخيرة أثر سلبي حتما على الأولى وهو أثر يظهر في استعمال الطفل للتراكيب العامية أثناء تدربه على استعمال الفصحى" [14]هذا تعايش بين ما هو عامي وما هو فصيح يؤدي إلى تداخل الأنساق اللغوية مما ينجم عنه مزيج وتداخل لغوي يبرز في أداءات وخطابات المتعلمين الشفوية والتحريرية.

إلا أن المعلم باعتباره موجها ومصححا ومعززا للعملية التعليمة التعلمية وفق هذه المناهج يحتم علية امتلاك قدرا كافيا من المؤهلات سواء العلمية منها أو المنهجية من أجل أن يصل إلى الهدف المراد. ومن بينها التعامل مع المتعلم بلغة عربية فصيحة باعتبارها أساس العملية ككل -في نظري- لأن "مدرس اللغة كيفما كان نوعها الإلمام بالأنظمة اللغوية التي تتداخل مع اللغة التي نود تعليمها ، كما ينبغي أن يعي أن عدم معرفته بهذه المعطيات، يؤدي به في غالب الأحيان الفشل في مهمته" [15]، فمعلم اليوم يفتقر في كثير من الأحيان إلى المؤهلات والقدرات وهذا راجع إما لنقص خبرته أو لضعف تكوينه النوعي، الأمر الذي ينسحب بشكل سلبي على الوضع التعليمي ككل، مما جعل المدرسة اليوم "تعاني من المعلم والأستاذ لأن المنهجية والكفاءة عنده كثيرا ما تكون ناقصة أو محل شك ونقاش والسبب أن التعليم لا يهم أهله من المحسن للتعليم ولكن يقصده كثير من الناس من أجل الاسترزاق بالعمل والأجرة وليس من باب حب المهنة والتفاني فيها"[16]

هذا من جانب ومن جانب آخر توظيف المعلم للغة عامية في تواصله اليومي وهو يتعامل مع المتعلم في شرح الفكرة وتوضيح أخرى من أجل تحقيق الكفاءة المرداة، بدعوى الإيضاح والإفهام وتبليغ المعلومة، وما يزيد الأمر تعقيدا هو هدم ما يحاول معلم اللغة العربية بناؤه في الأطوار التعليمية المتقدمة من قبل معلمي المواد التعليمية الأخرى خاصة العلمية منها، حيث نجدهم "يفسدون على مدرس اللغة العربية عمله ويهدمون بناءه إما بجهلهم باللغة القومية ، إما لازدرائهم لها مع الأسف وقد بلغ الأمر ببعضهم أن يتهكم بالطالب الذي يبدي نوعا من الحماس للغة العربية والانتصار لها ويحاول إصلاح خطأ في النطق أو السبورة ، فيخاطبه المدرس في سخرية على مرأى ومسمع من الطلاب ، فدعنا من هذا فلسنا في حصة اللغة العربية"[17]، وهذا أكبر دليل على أن تعليم اللغة العربية يعيش نوعا من الاستلاب الفكري بين أهله وذويه، والمتضرر الأكبر في هذه الحالة هو جيل المستقبل وما يحمله من زاد معرفي حول لغته حتى ترقى لأن تكون لغة تواصله اليومي، وخير دليل ما يشهده مستوى الطلاب اللغوي في جامعتنا، وذلك يرجع إلى السنوات التكوينية الأولى المتعثرة.

4-3-طرائق التدريس: يعد التجديد في المنظومات التربوية ظاهرة صحية تدل على وعي المجتمع بما يستوجبه من إصلاح، قصد مواكبة المجتمعات المتقدمة، وما الإصلاحات التربوية الأخيرة التي شملت النظم التعليمية في مختلف المراحل بتحديث مقاربات التدريس، والتي جاءت بها المقاربة بالكفاءات وما تحمله من استراتيجيات تدريسية حديثة إلا دليل على ذلك.

إلا أن تفعيلها من طرف المعلمين محدود، حيث نجد بعضهم لا يزال يعتمد في طريقة تدريسه على الاستراتيجيات التقليدية التلقينية التي يكون فيها المعلم هو محور العملية التعليمية، في مقابل غياب صوت المتعلم، واقتصار دوره على تلقي المعارف والمعلومات دون المشاركة في صناعتها، في حين –كما ذكرنا أنفا –أن المتعلم في الأصل يكون محور العملية التعليمية التعلمية، وهذا ما نادت به الكثير من نظريات التعلم، كالنظرية الاجتماعية "لفيتوفسكي"، والبنائية "لبياجه" إلى ضرورة تكوين المتعلم وجعله قادرا على بناء معارفه بنفسه وتوظيفها توظيفا صحيحا وفق ما يقتضيه الموقف.

4-4-تأثير اللغات واللهجات: إن طغيان اللهجات وتحكمها في ألسنة المتعلمين، وتأثيرها على لغتهم المدرسية، جعل مجال توظيف اللغة العربية ينحصر على المحيط المدرسي المحدود جدا، وبسبب مزاحمة بقية اللغات التواصلية بما في ذلك مختلف اللهجات يجد المتعلم صعوبة في التخلص من هذه الحصيلة اللغوية وتنقيح رصيده، ويعد تداخل اللهجات من أكثر العوامل المسببة لظاهرة التداخل اللغوي في الأوساط التعليمية الجزائرية.

6-5-دواعي نفسية : إن للعامل النفسي وما يحمله من تأثيرات على المستوى اللغوي عند الفرد الأثر البالغ في حصيلة المتعلم من اللغة العربية مقارنة بالعوامل الأخرى، وإن كانت تأثيراته داخلية خفية إلا أنها تكون بارزة كلما حاولنا اختبار المتعلم في مدى تمكنه من هذه اللغة، إذ نلاحظ جليا وجود ظاهرة التداخل اللغوي عنده.

6-1-الانبهار باللغات الأجنبية: إن الشعوب العربية -والجزائر واحدة منها -من أكثر شعوب العالم انبهارا باللغات الأجنبية إذ أن "الإحصاءات تؤكد أن الأسر العربية هي الأكثر عالميا في الانبهار بلغات الغير"[18] ولقد ساهمت اللغات الأجنبية إلى جانب اللهجات العربية في حدوث ظاهرة التداخل مما جعل لغة الضاد تفقد مكانتها "باعتباره نوعا من الأسلبة والمحاكاة الساخرة باستعمال الفصحى والعامية واللغة الأجنبية واللهجات المحلية، دون وعي بما ينتجه هذا الخليط الذي ينخر المجتمع من داخله ويقلعه عن موروثاته".[19]

6-6-دواعي إعلامية : إن للغة الإعلامية تأثيرا بارزا على لغة المتلقي، وبخاصة المتعلم الجزائري في مراحل تكوينه المختلفة، حيث تحيد هذه اللغة عن عرف النظام اللغوي المقعد، وتبيح لنفسها استعمال اللغة الهجينة على المستوى المرئي والمسموع والمكتوب بدعوى قربها من قلوب الجماهير واستقطابها لأكبر شريحة من المتلقين، وللأهمية التي تكتسيها هذه الأخيرة باعتبارها الواجهة للرأي العام والخاص، فإن لها بالغ الأثر على سلامة بناء الفرد لغويا وتأثير في تحصيله للغته العربية، جراء التداخلات اللغوية التي توظفها هذه اللغة الإعلامية في جانبها المعجمي.

إن لاجتماع وتضافر هذه العوامل والأسباب المشكلة للتداخل اللغوي، انعكاسات تمس العملية التعليمية بصفة عامة وتعليم اللغة العربية بصفة خاصة إذ تؤثر بشكل سلبي على تكوين شخصية المتعلم اللغوية.

7-انعكاسات التداخل اللغوي على تعليم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية: من خلال ما سبق ذكره حول ظاهرة التداخل اللغوي ودواعي استشرائها، وما تم عرضه في توصيف الواقع اللساني يتجلى لنا أن انعكاساته تمس بشكل حساس القطاع التعليمي، فهي تؤثر تأثيرا سلبيا في سير العملية التعليمية، وتمس بشكل خاص ملكة المتعلم اللسانية إذ تعمل هذه الظاهرة على خلق مجموعة من العوائق والصعوبات التي تحول دون الاكتساب السليم للغة العربية الفصحى وذلك أن:

للمتعلم ملكة لسانية خاصة بلغته الأم (العامية) تؤثر بشكل جلي على تنمية الملكة الجديدة في اللغة المتعلمة وتعرقل مسارها، إذ تتداخل الأنماط اللغوية التي اكتسبها في لغته الأم مع أنماط اللغة الثانية التي يتعلمها ويبرز ذلك على مستوى أنظمة اللغة العربية المعروفة، في جانبها المنطوق والمكتوب، كما تتداخل الأنظمة اللغوية في ذهن المتعلم أثناء الأداء والإنتاج وذلك بفعل المعجم الذهني للغة الأم إذ يفكر المتعلم بنظام لغوي ويعبر بأخر.

هذا الخلط بين الأنظمة اللغوية المتنوعة (العربية ،الفصحى ،العامية)على مستويات اللغة، يؤدي إلى اضطراب لغوي وظيفي، يولد هشاشة تواصلية، تتضح في معاناة اللغة العربية على ألسنة المتعلمين وعلى أقلامهم من خلال الأخطاء الشفوية والكتابية البارزة على مستوى الأنشطة التعليمية اللغوية المختلفة، بالإضافة إلى أن التداخل اللغوي إفراز من إفرازات الاحتكاك الإستعمالي الحاصل في المشهد اللغوي الجزائري، مما يعرقل مسار تحصيل اللغة العربية وسبل انتشارها بأنظمتها السليمة في مقابل توسع نطاق استعمال اللهجات واللغات الأجنبية في التواصلات اليومية، الأمر الذي يهون توظيف العامية من قبلهم وعدم اكتراثهم لتقويم ألسنتهم، مما يشكل عائقا يحول دون تطوير مهاراتهم اللغوية وتحقيق كفاءاتهم التواصلية في ظل غياب بيئة تعليمية سليمة.

8-الحلول المقترحة للدارسة: من خلال ما سبق في هذه الدراسة المقتضبة أقترح بعض الحلول التي أراها مناسبة للقضاء أو على الأقل تخفيف من خطر هذه الظاهرة على التحصيل اللغوي السليم

أ- ضرورة التخطيط المحكم وانتهاج سياسة لغوية سديدة تعمل على إعادة التوزيع الوظيفي للغات القومية والأجنبية وتنزل كل واحدة منها مكانتها التي ينبغي أن تحتلها، على الصعيد الرسمي.

ب- اعتماد سياسة التعريب الشامل انطلاقا من المؤسسات التعليمية وخاصة الجامعة باعتبارها الفضاء التعليمي الوحيد الذي تنتشر فيه اللغات الأجنبية بشكل جلي في مختلف مستوياتها وفروعها، خاصة العلمية منها.

ج- إن تعليم اللغات من أكثر الأنشطة التي تساعد على توسيع مدارك الفرد وتحصيل لمعارفه، وهي من أهم متطلبات التطور في مختلف مجالاته، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال هجرانها، أو استغلالها كمطية للتخلي عن اللغة العربية، بل ينبغي التعامل معها بوعي، من أجل جعلها خادمة للغة العربية، وذلك عن طريق نقل الثقافات والحضارات لمختلف المجتمعات بشتى الوسائل بما في ذلك الترجمة.

د- ضرورة التأكد من تمكن المتعلمين من ملكة إحكام التصرف في بنى اللغة العربية الفصيحة، لإدراج لغة ثانية، من أجل التحصين والوقاية من تداخل الأنظمة اللغوية.

هـ- التعاون القائم على الوجه الموجود عليه اليوم بين الأسرة والمدرسة لا يمكن له أن يقضي على الظاهرة، مما يحتم عليهم ترقيته بوعي من أجل توفير بيئة تحفيزية تشجع المتعلمين على التواصل بالفصحى والإقبال على تعلمها.

و- حث وسائل الإعلام باستعمال اللغة العربية الفصحى دون غيرها من اللغات أو اللهجات، في جميع برامجها بما في ذلك الإخبارية والترفيهية، من أجل تصحيح المسار اللغوي غير السوي، لما لها من بالغ الأثر على لغة الفرد بصفة عامة والمتعلم على وجه الخصوص.

9-خاتمة :

تعد ظاهرة التداخل اللغوي من الظواهر التي تفرض نفسها على الواقع اللغوي الجزائري بصفة عامة و المدرسة بصفة خاصة، وباعتبار هذه الأخيرة الفضاء المناسب في محاربتها والبحث على أنجع السبل في القضاء عليها أو على الأقل الحد من انتشارها، لما تشكله من عوائق تحد دون التعلم السليم للغة العربية الفصحى، والرقي بها من أجل أن تكون أسلوب حياة، لذلك وجب على القائمين في هذا المجال تنظيرا وتطبيقا التفطن إلى الخطر المحدق باللغة العربية إذا ما استمرت هذه الظاهرة في الانتشار، والبحث عن الحلول المناسبة لها.

<u>هوامش البحث:</u>

1-علي القاسمي ،التداخل اللغوي والتحول اللغوي، مجلة الممارسات اللغوية، الجزائر ،العدد الأول،2010،ص77.

2- ينظر ،جورج مونان ،معجم اللسانيات ،ترجمة جمال الحضري ،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،ط1،2012،ص124.

3-محمد الأوراغي :التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،منشورات ،كلية الأداب بالرباط ،،2002،ص11.

4-louis-Jean Calvet ,la guerre des langues et les chances d un vèritable plurilinuisme ,pp10-16.

5-نهاد الموسى ، الازدواجية في العربية ما كان ،وما هو كائن ،وما ينبغي أن يكون ،المطبعة الجامعية الأردنية ،مقال خاص بندوة الازدواجية في اللغة العربية ،1409هـ-1988م،ص84.

6-إبراهيم كايد محمود، العربية بين الازدواجية اللغوية والثنائية ،المجلد الثالث، العدد الأول ،ذو الحجة 1422(مارس2002)،ص62.

7—ينظر ، ميشال زكريا :قضايا ألسنية وتطبيقية ،دراسة لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان،ص35-36.

8-TALEB .LBRAHIMI KHAWLA .LES ALGREEUS ET LEUTRLANGUES.LES EDITIONS ELHIKMA.ALGER.1982.P26

9-لويس كالفي ،حرب اللغات والسياسات اللغوية ، ترجمة حسن حمزة مراجعة سلام بزي حمزة ،ط1،المنظمة العربية للترجم يدعم من مؤسسة محمد بن راشد أل مكتوم ،بيروت ،آب ،أغسطس ، ، 2008،ص89.

10- ينظر :أهمية التخطيط اللغوي –اللغات ووظائفها- المجلس الأعلى للغة العربية ،منشورات المجلس 2012،ص92.
11-محمد توفيق المدني ،جغرافيا القطر الجزائري ،مكتبة النهضة الجزائر ،1963،ص138.
12-مولود قاسم نايت بلقاسم ،اللغة والشخصية في حياة الأمم ،مجلة الأصالة ،وزارة الشؤون الدينية ،الجزائر ، نقلا عن صحراوي بلقاسم :التداخل المعجمي والتركيبي في التعابير الكتابية ،ماجستير،2013/2012.
13-أنيس فريحة ،نحو عربية ميسرة ،دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ،1995،ص16 .
14- المعموري محمد وآخرون ،تأثير تعليم اللغات الأجنبية في تعلم اللغة العربية ، معهد بورقيبة للغات الحية ،تونس ،1983،ص32-33.
15-باديس لهويمل ،نور الهدى حسني ،مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية ،جامعة محمد خيضر بسكرة ،ص119.[1]
16-خالد نور الدين ،إدراك الطلبة أسباب ضعف الدافعية للدراسة ،حوليات جامعة الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية العمدة ،ج1991،1992/1،ص87.[1]
17-المعموري محمد وآخرون:مرجع سابق ،ص33.
18- عن موقع ISLAMOMLINE .NETابتاريخ 10بتاريخ 2010 نقلا عن صالح بلعيد ،مرجع سابق ،ص225.
19-صالح بلعيد ،الأمن اللغوي ،دار هومة للطباعة والنشر ،الجزائر 2010ص225 .